مجلة المجمع العلمي

إسهام الأدب العراقي الحديث في تطوير الفكر المعاصر

الدكتور محمد حسن علي مجيد الحلي
كلية التربية للبنات ــ جامعة بغداد

الملخص :

للأدب دور كبير في تطوير الشعوب ، وهذا البحث يتعرض لأهم القضايا التي أسهم فيها الأدب العراقي الحديث في تطوير الفكر المعاصر وقد عالج ذلك التطوير من خلال السياسة والاجتماع والتحرر والثورة على الظلم واطلاق المرأة من القيود التي كبلتها عهود القهر والجهل والحرمان .

المقدمة :

أن الحديث عن إسهام الأدب العراقي في مطلع القرن العشرين في تطوير الفكر المعاصر ، يثير الرغبة في الحديث عن علاقة الفنون والآداب على اختلافها ببعضها ، وبالعقائد الاجتماعية التي يعتنقها الناس والظروف الموضوعية التي هيأت لهذا الأدب ان يقوم بهذا الدور في تطوير الفكر المعاصر ، والتمهيد لظهور دعوات اصلاحية تقوّم المجتمع وتبثّ فيه روح التحفّز للارتقاء والتقدّم .

لقد كانت حقبة الربع الأول من القرن العشرين انعطافا مهما في تاريخ العراق الحديث ، وعصرا متميزا من عصور الأدب والتاريخ ، فهي من أهم العصور ، واحفلها بالأحداث ، وهي حقبة التململ والقلق على الصعيد

السياسي ، وعصر تمرد وثورات عشائرية ومدنية ضد السلطات الأجنبية القائمة ، وعصر دعوات اصلاحيه ، وايقاظ الأفكار على الصعيد الاجتماعي ، وفيها بدت طلائع الاصلاح ، كما أنها عصر تحرك أدبي ونشاط علمي على الصعيد الثقافي الذي مّهد لنهضة العراق الفكرية والأدبية في العصر الحديث ، على الرغم مما أثقلها من ارث القرون الماضية وتراكمات السنين العصيبة ، كما تميزت بهذا النتاج الضخم من الأدب ووفرته فيها ، وبما تميّز به أدباؤها ومفكروها من إسهامات ايجابية على الصعيدين الفكري والأدبي ، ومن مواقف جريئة على الصعيد السياسي ومن صفحات اصلاحية وتقدمية جديدة على الصعيد الاجتماعي ، ومن عطاء متميّز على الصعيد الحضاري والانساني والقومي والوطني ، ولذلك فان تتبع ذلك النتاج الأصيل يوقفنا على حلقة مفقودة فيما اسهم به ذلك الأدب من جهد خلاق وعطاء مبدع ، وما أسهم به أدباؤها ومفكروها من اضافات نوعية في تطوير الفكر المعاصر والدعوة الى الاصلاح ، لان المفكرين والادباء هم رواد الأمة نحو مستقبل أفضل وتيارها المتقدم نحو الرفعة والكرامة ، لأن الأديب الملتزم بقضايا أمته يُعنى بالضرورة بتطوير فكرها وحضارتها ، ويسهم في خلق جيل جديد يدافع عن ذاتها ، ويؤكد قيمتها ويصور بقلمه آلامها ويُفصح عن تطلعاتها وآمالها بأسلوب لا تدخله الصنعة ولا يهدف الى اقتناص المطامع او التحفز للمغانم . لان الكلمة الحرة اداة إصلاح ، والفكرة الشريفة دفقة ضياء تنير طريق الطموح .. ان هذه الاضافات النوعية التي أسهم بها ادباء مطلع القرن العشرين لم يعطها الباحثون حقها من الرصد والدراسة ، ولم يشيدوا بجهودهم الكبيرة من اجل تطوير الحياة في العراق والاسهام في حضارته وثقافته ، فبقوا جنوداً مجهولين من غير ذكر ، ومنسيين من غير حق .

لقد اتضح اسهام الأدب العراقي الحديث في مطلع القرن العشرين اولاً على (الصعيد السياسي) في تطوير الفكر المعاصر بنضال الأدباء من اجل حريّة الانسان وكرامته في العراق ، وفي البلاد العربية والاسلامية وفي العالم اجمع وفي الدعوة الى الاخاء الانساني والتسامح الديني ، فقد تبلورت المشاعر الانسانية لدى شعراء مطلع القرن العشرين ، وتحولت الى اتجاه انساني عام يؤمن بالانسانية بوصفها قضية مشتركة بين الامم ، ترتفع فوق المصالح الفردية ، وتجتاز قوانين المجتمعات الاقليمية ، ونزعاتها الذاتية واندفاعات أفرادها الضيقة وشهواتهم الشخصية في حب السيطرة والتحكّم في مصائر الشعوب . وقد احتلت هذه النزعة الانسانية مساحة واسعة من أدب العراقيين في هذه المرحلة من حياتهم ، فدعوا الى ان يتجرد الانسان من عوامل الانانية ونوازع الشر ، وأساليب الدمار ، ونبذ الدعوة الى الحروب بهدف تحقيق الاطماع الاقليمية او الذاتية والعنصرية التي تعكر صفو الانسانية وتهدد الوجود البشري ، وتفني الحياة وتحرق الأخضر واليابس .

فالشاعر جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣ـ١٩٣٦) دعا الى ان يحيا العالم حياة فاضلة ، ويعيش الناس تحت ظلال المحبة الوارفة وعلى بساط وثير من الامن والالفة والتعاون في قصائد كثيرة من شعره ويحسن الظن بالمستقبل ويتفاءل بأنه سيكون أفضل للانسان . منها قوله :

سيهذّب المستقبلُ الانسانا ... حتى يكون أبرّ مما كانا
حتى يبذّل من خصومته رضا ... من القساوة رأفة وحنانا
حتى يكون الناس اجمعهم يدا ... تجني الثناء وتزرع الاحسانا
حتى يكون البعض مسعد بعضهم ... وجميعهم لجميعهم أعوانا[1]

---

[1] ديوان الزهاوي ١ / ١٥٨ ـ ١٥٩ تحقيق د. محمد يوسف نجم .

ويستلهم الشاعر(محمد رضا الشبيبي ١٨٨٨ـ ١٩٦٥) روح الطبيعة الوادعة والفة ازهارها مثلا للوئام في الحياة، ويتمنى للناس جميعا الفة مثل الفة الزهور ووداعة مثل وداعة غصونها المتعاطفة واشجارها المتآلفة ، فيقول :

حسدتُ الزهورَ لان الزهور كأخوان جامعة مُثَّلِ
ويا للمودة بين الغصون اذا ما جرى نفسُ الشمألِ
فهذا يقول لذاك : اعتنقْ وتلك تشير لذي : قبّلي

ثم يعجب اشدّ العجب مما يفّرق الناس وهم يملكون عقولا تفكّر وعواطف تتأثر ، ونفوسا تشعر ، ورغبات تتشوق للحياة ، وتتطلع نحو الأفضل ، ويتساءل في حيرة شديدة عما يفرّق الناس فيقول :

فما لبني قومنا الاكرمين قد افترقوا كالمها الجفّلِ
يبيدُ القويُ حياة الضعيف ويودي المسلّحُ بالأعزلِ
فمرتفعون لاوج السما وهاوون للدرك الاسفل[٢]

اما الرصافي (١٨٧٥ ــ ١٩٤٥) فيعجب من تنّوع البشر واختلاف أجناسهم ، مع ان الكون واحد ، والانسانية واحدة فلماذا هذا التنافر :

ولما رأيتُ الكون في الاصل واحدا عجبتُ لان الخلقَ فيه ضروبُ
وان اختلاف الآدميين سيرةً وهم قد تساووا صورةً لعجيب
رأيتُ الورى ، كلاّ يراقب غيره فكلٌّ عليه من سواه رقيب[٣]

ومن محاور (الدعوة الى السلم) واشاعة روح المحبة والوئام بين الشعوب مما اضطلع به الأدب العراقي في هذه الحقبة : دعوة الشعراء العراقيين الى (التسامح الديني) والتوكيد على انسانية الأديان السماوية وكونها

---

[٢] ديوان الشبيبي ١٧٢ ــ ١٧٣ .

[٣] ديوان الرصافي / ص٤ ط٦ مطبعة الاستقامة ــ القاهرة من قصيدة (في مشهد الكائنات) .

مبادئ محبة وتوفيق بين البشر وليست ادوات عداوة وتفريق ، وانها جميعا تعمل على اسعادهم ونبذ الخصومة والفرقة بينهم ، ويتجلى هذا الاتجاه لدى كثير من شعراء العراق المعاصرين .. منها قول الشاعر الرصافي :

علامَ التعادي لاختلاف ديانةٍ ... وان التعادي في الديانةِ عدوانُ

فأي اعتقاد مانع من اخوّة ... بها قال أنجيك كما قال قرآن

فمن قام باسم الدين يدعو مفرقا ... فدعواه في أصل الديانةِ بهتان[٤]

اما كاظم الدجيلي (المولود سنة ١٨٨٤م) فيقول في ذلك :

حكاية اديان الانام عجيبة ... تجمع فيها فرقة ووئام

تريد الهدى والخير للناس كلهم ... وكم ثار منها فتنة وخصام[٥]

ويسير في هذا الدرب حشد كبير من شعراء العراق وأدبائه ومفكريه يستطيع المستزيد ان يجد الكثير منها في دواوين الزهاوي والرصافي والكاظمي والشبيبي وعلي الشرقي واحمد الصافي النجفي وغيرهم ، ولا شك في ان استقرار الشعوب وتعاونها وتآلفها وتقاربها من بعضها وشيوع روح المحبة والتعاون بينها ، ثم اشاعة التسامح الديني بين الناس كل ذلك يتيح لها جميعا ان يسهم في تطوير الفكر وتفتّح الاذهان ورفد الحضارة بالقدر الممكن الذي تتيحه قدرتها ، وتسعفها به امكاناتها ، وهي مساهمات مشهوده في الأدب العراقي الحديث في الدعوة الى التعاون وسيادة الطمأنينة وفي بناء الانسان وتوفير الاستقرار له ليستطيع بدوره ان يرفع صرح الحضارة ويرفدها بعطاء جديد ويطور فكرها واستعدادها لبناء مستقبل افضل .

---

[٤] ديوان الرصافي ١٣١ .

[٥] الأدب العصري ــ رفائيل بطي ١/ ١٩٧ المطبعة السلفية بمصر ١٩٢٣ .

وقد رافق الدعوة الى التسامح الديني ونبذ التعصب : (الدعوة الى العدل) والمساواة بين الناس ، وقد ارتبط ذلك لدى الادباء بالاصلاح السياسي والاجتماعي ، ومما كانت تعانيه البلاد من تأخر مريع اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، واعتقدوا ان جزءا كبيرا من دواعي ذلك التأخر عامله كثرة المظالم وانعدام الانصاف ، وافتقار الحكم الى العدل ، فهناك المرتفعون الى اوج الفضاء ببذخهم وسلطانهم ، وهناك المسحوقون المقهورون ، لذلك بدا العدل كأنه ذلك الحبيب الغائب الذي طال انتظارهم له ، وصاروا يخاطبونه مخاطبة العاشق المترقب والمحب الولهان .

فهذا الشاعر الزهاوي يقول انه لن يطيب له عيش ان لم يحبه ذلك الحبيب الذي انتظره ، واكثر من صدوده وجفائه :

ايها العدلُ أنت أنت الحبيبُ ان عيشي ما غبتَ ليس يطيبُ
ما لمن قد دعوته لا يُجيب كل هذا الصدود منه عجيب
أعدتْهُ من الوصال العوادي
أنت يا عدلُ كالضياء واجمل ما لآسٍ الا عليكَ المعَّول
بك احلام ليلنا تتأول ايها العَدل ، انما انت للقلـ
ـبِ ، مرادٌ وفوق كل مرادِ[٦]

لذلك راح الزهاوي يعرض على السلطان عبد الحميد ان ينظر الى الرعية واصرارهم بعين العدل والانصاف ويحقق ما في نفوسهم من توق للاصلاح ومنحهم بعض مالهم من حقوق ، اذن لفداه الشعب بالاراوح :

---

[٦] ديوان الزهاوي ٢٨/١ .

ماذا على السلطان لو اجرى الذي تشتاقه الاحرار من اصلاح
تالله لو منح الرعيّـــة حقهـــا لفداه كل الشعب بالارواح[٧]

اما رفيقه في الكفاح (الرصافي) فهو يوضح البون الشاسع بين المترفين من المتنفذين والحكام واهل السلطة الى حد التخمة والمعوزين من الناس حتى حد الانسحاق ، ويحثّ على ردم الهوّه العميقة بينهما وهو وضع لا يناسب العدل ولا الشرع ولا قوانين الحياة فـي قصـيدة طويلـة مشـهورة لـه بعنـوان (آل السلطنة) التي مطلعها :

همْ يُعدّون بالمئآت ذكورا واناثا ، لهم قصورا مثاله [٨]

ومحاور دعوة العراقين الى السلم ، هو دعوتهم لنبذ الاحتراب بين الشعوب لان الحروب اذا نشبت لا تبقي ولا تذر وهم اهم عوامـل شـقاء الانسـان وفناء البشرية :

فهذا الشاعر خيري الهنداوي (١٨٨٥ـــ ١٩٥٧) يصـف بشـاعة الحرب ويبيّن اهوالها ومآسيها وهي تطبق على الارض والنـاس والبحـار والصخر والشجر والثمار ، فتقطعهم باسنانها وتلفحهـم بشـواظها وتحـرق الاخضر واليابس حتى يمسي الناس والحجارة وقودا لها ، حين يقـول فـي قصيدة طويلة بعنوان (الحرب والارض) سنة ١٩١٤:

أججتْ هذه البسيطـة نـارا ينضج اللحمَ حُرها والجلـودا
شَرَرٌ طبّق البحـار هبوطـا واعتلى غارب الوهادِ صعودا
احرق المال والنفوس وآلـى لا نباتـا يُبقـي ولا جلمـودا
عمّ وجه الصعيد طرا فامسى كل شيء على الصعيد وقـودا

---

[٧] المصدر نفسه ٤/١ .

[٨] ديوان الرصافي ٤٠٨ ـ طبع القاهرة .

رحمـــة أيها الملوك بأهـــل الار ض ، وكفّوا جيوشكم والجنودا
ضاقت الأرض بالذي حلّ ذرعا فاكضهّرتْ ، وأوشكت ان تميدا
وتلافوا بقيـــــة السيف منكـــم فهي بالسيف اوشكت ان تبيـــدا
جرّدوها عواطفـــــا وشعـــورا وادفنوهـــا ضغائنـــا وحقـــودا[٩]

ويدهش الشاعر عبد المحسن الكاظمي (١٨٧٠ـ١٩٣٥) من الضراوة في طبع الإنسان حتى تدفعه نوازعه الى العداء مع أخيه الإنسان مـــن غيـــر مبرر ، بل قد يتحول الانسان في نظر الانسان الآخر الى وبـــاء مخيـــف او طاعون فتاك ، عليه ان يتقيه ، واعدوا لهلاك الانسان كل وسائل المـــوت . فيقـــول :

ما عهدنا الانسان كـــان وبـــاءً يتقيه الانســـانُ او طاعونـــا
هزأوا بالحياة ، وارتجلوا الموت وعاد السلامُ حربـــا زبونـــا
ملكوا الارضَ والسماء فاضحى كل فوق من ذلك الجو دونا
حلّقوا كالطيـــور فـــوق طيـــور نستزلُ العقـــاب والشاهينـــا
انشأوا المهلكات ترسو وتطفـــو في الهوا مرةً وفي الماءِ حينا
شيّدوها مثل البروج فصـــارت لهلاك الورى سفينا سفينا[١٠]

وقد كرر الدعوة الى نبذ الحروب ، والـــدعوة الـــى الســـلم شـــعراء العراق في قصائد كثيرة من أشعارهم تجدها في دواوين عبد المحسن الكاظمي ومعروف الرصافي ، والزهاوي ومحمد رضا الشبيبي ومحمد حبيب العبيدي وغيرهم كثير .

---

(٩) خيري الهنداوي ــ د . يوسف عز الدين ١٧٣ ــ ١٧٤ .
(١٠) ديوان الكاظمي ــ شاعر العرب ــ م١ / ص ١٥٥ ــ ١٥٦ .

ولا شك في أن الدعوة الى السلم ونبذ الحروب اسهام كبير في صيانة الحضارة الانسانية من الدمار ، وإنقاذ صرح المدنية من الانهيار ، لأن الحضارة لا تزهو الا في اجواء الطمأنينة والاستقرار ، وفي إبعاد شبح الحرب والموت والدمار ، وفي هذا تطوير للفكر واسهام عظيم في صيانة الحضارة ولكن ، قد يكون غريبا مني بعد هذا أن أقول هنا : ان من مظاهر اسهام الأدب العراقي في بناء الحضارة الانسانية ايضا في تطوير الفكر معا هو : ((دعوة الشعراء العراقيين الى الحرب)) . نعم انا ازعم ذلك ، لكني اسارع لتوضيح هذه المفارقة ، فأقول وانا أقصد (الدعوة الى الحرب الدفاعية) .. فقد دعا رهط من شعراء العراق الى الكفاح وشن الحرب على المستعمر الدخيل والتصدي للغزاة ، وطرد الاجنبي الطامع . والى تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي ، وهذه لاشك في انها رسالة انسانية نبيلة تسهم في وضع أُسس العدل السياسي بين الشعوب ، لان غزو الامم وابتزازها والسيطرة عليها بالقوة الغاشمة ونهب ثرواتها وخيراتها ، تعطل من الطاقة الخلاقة للشعوب وتوقفها عن البناء الحضاري ، وتنهي دورها في العمل والبناء ، وتشلّ قدرتها على الإبداع الذي يُرفد الحضارة بعطاء جديد وفكر متنور ، لان المكبّل لا يعمل ، والمشلول لا يتحرك ، والجائع لا يفكر والمقهور لا يُبدع ، فمحاربة الاستعمار . وطرد الدخلاء اذن اسهام فكري خطير وبهذا الدور الفكري الخطير نهض الأدب العراقي في هذه المرحلة .. وقد اتضح ذلك بشكل جَليّ في مناجزة السلطة العثمانية الاجنبية المبتزّة في مطلع القرن العشرين ، ثم في مقاومة الاحتلال الانكليزي بعد ذلك ، وفي التصدي له والوقوف بوجهه ، وفي تصوير ذلك الثبات البطولي العنيد للاحتلال ، وفي مواجهة تلك الجحافل الغازية بكل ما لديها من سلاح حديد وثقيل ومتطور ، ثم تجلى بعد ذلك أيضا وبشكل عظيم في وقوف الشعراء

جنبا الى جنب مع أبطال ثورة العشرين ، لذلك اضطر الشعر العراقي في مرحلة الاحتلال الجديد هذه ودخول مستعمر آخر الى البلاد (الى التخلي عن شعارات الدعوة الى السلم) ، التي كان يدعو إليها في مرحلة سابقة ، الذي كان ينطلق عن تفهم حقيقي لمعاني السلم والانسانية والوئام والتعايش ، لان موقفه ذاك الداعي الى السلم ونبذ الحرب لم يكن موقف الذليل الخائف ، ولا دعوة المتهالك المرتجف ، انما هو موقف الانسان النبيل ، ودعوة المدرك المتفهم ، وشعار الواعي المسؤول . فالعراقيون لم يطلبوا السلم اول الامر كيفما اتفق ، وماذا كان شكله ، وبأي ثمن معروض ، انما هو السلام المشرف القائم على العدل واحترام حقوق الشعوب والامم ، والا فما هم براغبين فيه ان كان سلاما ذليلا او هدفه مهينة او استعمار جديدا . فان لم يحصل ذلك فالحرب اذن ، الحرب التي تحفظ للانسان كرامته وللشعب كيانه وللوطن حريته وللامة حقوقها واستقلالها ، انه النَفسَ العربي الأصيل منذ القدم حين أطلقها الشاعر العباسي بشار بن برد حين قال :

وحاربَ اذا لم تعطَ الاظلامة شبا الحرب خير من قبول المظالم[11]

فالعراقيون يجنحون للسلم ماجنح العدو لها ، فاذا ما ركب رأسه وتكبّر وتنمّر فهي الحرب اذن ، ولتشرع السيوف وتجر الدماء وتفلُ التضحيات ان لم يكن منها بدّ ، او لم يكن لها بديل ، لان (شَبا الحرب خير من قبول المظالم) :

ان من اول السمات الفنية لشعر (الحرب الدفاعية) هذه ، هي الاساليب التي صيغت بها ، وفخامة اللغة وجزالة الالفاظ ، وارتفاع النبرة وعلو جرس القافية ، وذلك يشير الى ان الشعراء كانوا يصدرون عن عواطف متأججة ، ووطنية صادقة وحماسة طاغية ، على انها امتازت من

---

[11] ديوان بشار بن برد ٤ / ١٧٣ القاهرة ١٩٦٦ .

جانب اخر بقلة الصور الفنية وقلة الخيال ووضوح المعاني ، لان الشعراء كانوا محتاجين الى تحشيد الجموع ورصّ الصفوف واثارة الحماس ، اكثر من حاجتهم الى جمال الصورة ورقة اللفظ وحسن المجاز وطرافة الخيال حتى كان الشعراء في بعض الاحيان يضطرون الى ان يستبدلوا القصيدة المنظومة بالخطبة الثائرة[١٢] لقلة الوقت وتزاحم الاحداث وتسارع المواقف والحاجة الى المزيد من القول والارتجال .

فالشاعر (خيري الهنداوي) الذي مر بنا داعية للسلم ونبذ الحروب وبيان بشاعتها ، وتصوير آثارها المدمرة ، نجده هنا حين تنمّر المستعمر وطغى الدخيل وقرر البقاء في البلاد بقوة السلاح ، واستبدل المحتلون منطق العقل والحكمة بالعنجهية والبندقية ، صار الهنداوي يدعو الى (الحرب الدفاعية) ان لم يكن منها بدّ ، وان يُقرع الحديد بالحديد ، وتُضرب الوجوه بالرصاص ، وتُشعَل النيران ، ولتكن حربا ضروسا تشيب لها الولدان :

واذا لم يكن من الموت بدّ فلنثرْها حربا تُشيب الوليدا

ولنمت في الدفاع عن حرم الحقّ فقد بات وهو يشكو الجحودا[١٣]

ووصف الشاعر حسين كمال الدين (المولود سنة ١٨٩٦م)[١٤] الحرب الدفاعية بانها : (حياة الشعوب) ــ :

إنما الحرب للشعوب حياة امةُ الحرب عمرها غير فاني[١٥]

ودعا (الرصافي)أيضا الى الحرب الدفاعية حين اجتاح المحتلون طرابلس

---

[١٢] انظر ما جاء في مقدمة ديوان (البركان) للدكتور محمد مهدي البصير .

[١٣] خيري الهنداوي ١٧٤ .

[١٤] انظر ترجمته في (شعراء الفرس) ٣ / ٢٥٠

[١٥] جريدة العراق (البغدادية) عدد ١٥٠ ٢٨ مايس ١٩٢٢ .

الغرب سنة ١٩١١ ، واوقعوا بها من المجازر ما تقشعرّ لها الابدان[١٦] فهالته وحشية المهاجمين ودعا الى الحرب كل أهل الشرق والوقوف بوجه الغرب المستعمر الذي يتسربل مدنية كاذبة . حين قال :

الا انهضْ وشمّر ايها الشرق للغرب وقبّل غرار السيف واسلُ هوى الكُتبِ
ولا تغترّ ان قيل عصر تمدّنِ فان الذي قالوه من اكذب الكذب[١٧]

لكن القصيدة الخالدة من الشعر العراقي التي دعت الى حرب الايطاليين والدعوة لمقاومتهم واخراجهم من طرابلس الغرب ، التي اشتهرت من بين مجموع قصائد الشعر العراقي في العراق في تلك الحقبة[١٨] ، هي القصيدة النونية البليغة للشاعر عبد المطلب الحلي (١٨٦٢ــ١٩٢٠) التي استنهض بها العرب في كل مكان لنصرة طرابلس ، حين اهتزّ العرب والمسلمون في كل أقطارهم لحدث احتلالها من الطليان ، فدعا الى (الحرب الدفاعية) والى مقاومة المحتلين ، في قصيدة طويلة ، قال في قسم منها :

إيّها الغربُ منك ماذا لقينا كلّ يوم تُثير حرباً طحونا
تُظهر السلم للانامِ وتُخفي تحت طيّ الضلوع داءً دفينا
كم دماءٍ معصومة قد سفكتم وهنكتم هناك عرضا مصونا
قل لايطاليا التي جهلتنا بثبات الإقدام هل عرفونا
ارأيتم ضرب المباتر انّا بشبا العزم دونه واثقونا
كيف رعناهُمُ الغداة بضربٍ جعل الشكّ في المنايا يقينا

---

[١٦] انظر عن مأساة طرابلس واجتياح الطليان لها : البلاد العربية والدولة العثمانية ــ ساطع الحصري ، ١٧٣ ــ ١٩٢ ــ بيروت ١٩٦٥ ط ٣ .

[١٧] ديوان الرصافي ٣ / ٢٦٠ ط وزارة الاعلام ــ بغداد .

[١٨] انظر عن الشعر العراقي الذي قيل في حرب طرابلس : مجلة كلية الاداب / ج بغداد مقال ــ ابراهيم الوائلي ــ (الشعر العراقي في ضرب طرابلس) ع/٧ نيسان ١٩٦٤ .

زاحفونا بجيشهم فرحفنا وقلبنا على الشمال اليمينا

يا رسولي للمسلمين تحمّلْ صرخةً تملأ الوجود رنينا
وتعمّدْ بطحاءَ مكة واهتف ببني فاطم ركينا ركينا
وعلى الحي من نزار وقحطا ن ، فعجْ ، وامزج الهتاف حنينا
فالحراكَ الحراكَ يا فئةَ الله الى الحرب لا السكون السكونا[١٩]

اما مواقف الشعراء العراقيين من ثورة العشرين فانها تعدّ امثلة متميزة في الدعوة الى (الحرب الدفاعية) ، فقد اخلصوا القول وصدقوا النية واعلوا الصوت والجّوا في التصدي وتعرضوا بعد ذلك لاصناف من الاذى والتعسف والسجن والنفي ، ولكنهم لم يهنوا ولم يضعفوا .

فالشاعر محمد مهدي البصير (١٨٩٦ ــ ١٩٧٤) يرسم صورا كثيرة لمعارك ثورة العشرين ، ويدعو الى حرب المحتلين ومناجزتهم ، ويصور المواقع التي دار رحاها بين الثوار وقوات الاحتلال من مناطق كثيرة من العراق . منها وصفه لما جرى في مواقع الفرات الاعلى ، وديالى ، واصابه الثوار من نجاح ، حين يقول :

فاض العراقُ جحافلاً وجرى ديالى بالمقانبْ
واحتلت المدن العديـ ـدة ، فهي حكم المضاربْ
اهلا بخافقة البنو دِ ، تظل زاحفة المواكب
اهلا بلامعة السيو ف ، كأنها الشهب الثواقب
ظنوا العراق فريسةً وقد التقت فيه المخالب
فتسلحّوا لرجاله بمكائد الخصم الموارب

---

[١٩] شعراء الحلة ــ علي الخاقاني ٣ / ٢٣٠ ــ ٢٣٣ ، وديوان عبد المطلب الحلي (مخطوط) من عملنا ، موجود لدينا مهيّا للطبع .

وسعوا لشقّ صفوفـه مكرا ، فكان المَكُـر خائبْ
حتى اذا ما جاش كالتيّارِ ر ، ملتطـم القـوارب
كانوا كناكصة الذئـآ ب ، يشلّها الاسد المغاضبْ[٢٠]

ويشترك في الدعوة الى (الحرب الدفاعية) في ثورة العشرين ــ فضلا عن البصير رعيل كبير من شعراء العراق ، كان من أشهرهم : خيري الهنداوي ومحمد باقر الحلي ، ومحمد باقر الشبيبي ، ومحمد مهدي الجواهري و محمد حسن ابو المحاسن الكربلائي وعبد الكريم العلاف وناجي القشطيني وعلي البازي ، وعطا الخطيب ومحمد علي اليعقوبي ومحمد حبيب العبيدي وكثيرون غيرهم ، على انّ نفرا قليلا من الشعراء العراقيين اضطرتهم ظروفهم الى عدم المشاركة ، او الى الصمت[٢١]

لذلك تبقى دعوة الشعراء العراقيين في ثورة العشرين وفي غيرها من حركات التحرر ومقاومة المحتلين والاستمرار في الكفاح ضد المستعمرين حتى يملّوا من الاقامة غير المجدية في ارض ترفضهم وتنكر وجودهم ، وتستنزف منهم نفقات باهضة في الانفس والاموال اسهاما حقيقيا في رفد الحضارة بقيم انسانية مستقرة مبنية على العدل والانصاف واحترام حقوق الشعوب ، واقرار استقلالها وتوكيد سيادتها في بلدانها لتؤدي دورها في ساحة الحضارة ويكون الأدب العراقي في هذه المرحلة قد أدى دوره الحضاري العظيم وفي تطوير الفكر المعاصر .

---

(٢٠) ديوان (البركان) ــ محمد مهدي البصير ــ مطبعة المعارف ــ بغداد .

(٢١) انظر عنهم وعن ظروفهم : (شعراء الدرجة الثانية يقودون ثورة العشرين) مقال د. محمد حسن علي مجيد ــ جريدة القادسية ، عدد ٣٠ حزيران ١٩٩٥ . وثورة العشرين في الشعر العراقي ــ ابراهيم الوائلي ٢٣ ــ ٢٧ .

(٢)

أما اسهام الأدب العراقي في هذه المرحلة على (الصعيد الاجتماعي) . فانه يتمثّل في مجالات كثيرة ايضا . منها محاربته للآفات الاجتماعية التي تنخر في جسد المجتمع ، وفي الوقوف في صف الفقراء والبائسين والمعوزين والمظلومين وتبيان معاناتهم والدعوة الى انتشالهم من وهلة البؤس والشقاء ، وانتزاعهم من الألم والجوع ، ثم في وصف حالة الفلاح العراقي وبؤسه ، والدعوة الى الأخذ بيده وانصافه وتخليصه من محنته ، ثم في الدعوة الى انصاف المرأة وتعليمها ومنحها حقوقها الاساسية بوصفها نصف المجتمع ...

هذه هي اهم محاور اسهام الأدب العراقي على الصعيد الاجتماعي حينما ساد فيه خاصة ، وفي عموم الأدب العربي في مطلع القرن العشرين ، والى سنين كثيرة منه ، روح الشعر الاصلاحي المطالب بانصاف الفقراء والمظلومين والجياع والمساكين ، لكن نفثات الشعراء العراقيين وحملتهم في الدعوة الى انصاف الطبقات الفقيرة ووصف احوالها في هذه المرحلة ، كانت اشدّ حرارة واعلى صوتا واكثر الحاحا من زملائهم شعراء الاقطار العربية الاخرى ، فالرصافي والزهاوي والكاظمي ومحمد رضا الشبيبي ومحمد باقر الشبيبي وكاظم الدجيلي ومحمد حبيب العبيدي ومحمد الهاشمي ومهدي الجواهري ومهدي البصير وعلي الشرقي والصافي النجفي ومحمد صالح بحر العلوم ، كان شعرهم الاجتماعي يتسم بطابع الكفاح والدعوة الى الاصلاح ، الذي هو ابرز سمات الشعر العراقي في هذه المرحلة ، واذا ما اردنا ان نتتبع الشعر العراقي الذي قيل في الذب عن الفقراء والمظلومين والبائسين والدعوة الى انصافهم والتخفيف عن آلامهم اذن سنجد أنفسنا امام ركام هائل من قصائد الشعر الاجتماعي ، لان ذلك مرتبط

بطبيعة المرحلة التي كان يمرّ بها العراق نتيجة للوعي الفكري من جهة . وللتردي الاقتصادي والاجتماعي من جهة اخرى . بحيث تحوّل الشاعر العراقي ــ بشكل عام ــ من فنان مبدع يصوغ اللحن وينتقي اللون ، ويتخيّر التعبير، ويجهد في التصوير الى مصلح اجتماعي يهمه ابراز المعنى وتوضيح الفكرة وتنبيه الناس الى الواقع الكالح ومحاولة تغييره ، لان الفقراء كانوا في هذه المرحلة يعيشون حياة صعبة وحالة مزرية ، يقتلهم الهمّ وينهشهم الجوع ويعضّهم الحرمان والجشع والاستغلال ، فقد كانوا يسكنون في المدن في بيوت ضيقة مزدحمة بساكنيها ، تتكتل فيها الأُسر في غرف رديئة الحال واذا ما انهمر المطر في الشتاء امتلأت البيوت بالاوحال والاطيان ، وقد لا يجدون ما يردّ عنهم زمهرير الشتاء الا خرقا بالية مرقعة لا يغيرونها حتى تبلى ، وغالبا ما يموت المريض منهم قبل ان يراه الطبيب واكثر طفالهم يموتون من سوء التغذية ، او من الجهل في تربيتهم واكثر الآباء مصابون بمختف الأمراض الفتاكة المعدية وقد لا أذيع سّرا اذا قلت ان ديوان (الرصافي) يحوي الكثير مما يمثل هذا الاتجاه في الأدب العراقي الحديث وفي رصد الآفات الاجتماعية ووصف حالات الفقراء والمعوزين والارامل والمطلقات والمحرومين ، فقد كان الرصافي ((اول شاعر عراقي عُني بالمشكلات الاجتماعية في عصره))[٢٢] ، وقد روى الرصافي عن نفسه قوله ((ان مشاهد البؤس كانت من الدواعي القوية عندي في نظم الشعر))[٢٣] . ولعل ذلك عائد الى انه واحد من ابناء تلك الطبقة المكدودة التي أرهقتها الأيام وعانى في حياته الامرّين من شظف العيش وشديد الحرمان من صغره حتى

---

[٢٢] الشعر العراقي الحديث ــ مرحلة وتطور ــ د. جلال الخياط ــ ط١ ٦٣ .

[٢٣] معروف الرصافي ــ بدوي طبانة ط٢ ص١٧١.

ايامه الأخيرة ووفاته . لذلك لا يكاد يرى منظر محزنا الا رصده ووصفه ولكن باسلوبه المعروف المعتمد على النقل المباشر والمعاني الحسية المباشرة المنتزعة من واقع المجتمع بدقة ومنها قصائده الشهيرة في هذا الباب : (ام اليتيم ، واليتيم في العيد ، والفقر ، والسقام ، والمطلقة ، والارملة المرضعة ، والسجن في بغداد ، واليتيم المخدوع وام الطفل في مشهد الحريق) وغيرها كثير مما حواها ديوانه في طبعاته ((التي يبلغ فيها الذروة في وصف الاحاسيس البشرية المشاعر الانسانية ... وفي تصوير مشاهد البؤس والشقاء كيما يستطيع أن يؤثّر في الناس لعلهم يبصرون ما تحت أعينهم من آلام شجية واوضاع مضنية)) .[٢٤]

على اننا لابد من أن نذكر هنا ان اتجاهات الشعراء العراقيين في تبيان المآسي الاجتماعية كانوا قد اهتموا من الناحية الفنية بابراز الفكرة والعناية بالهدف وتأكيد المعنى من دون الاهتمام الكثير باضفاف الخيال ورهافة الموسيقى وحبكة الاحداث ، ولكنها من الناحية الاخرى قد اشتملت على الصدق الفني والانفعال الحقيقي الذي صور اعماق الشعراء وصدق أحاسيسهم ورغبتهم في تصوير الآلام وبسطها امام الناس لمداواتها وتلافيها ..

(٣)

ومن مجالات اسهام الشعر العراقي في تطوير الفكر المعاصر على الصعيد الاجتماعي : رصد (مشكلة الفلاح) والدعوة الى انصافه ، لان الفلاح العراقي كان نهبا بين موظفي الدولة في العهد العثماني ، واطماع شيوخ الاقطاع ووكلائهم من صغار الملاكين ، فقد كان فريسة دسمة لاؤلئك

---

[٢٤] معروف الرصافي ـ د. رؤوف الواعظ ص١١٢ دار الكتاب العربي بمصر .

وهؤلاء ، بل ان بعض الولاة ... عصر ذاك ــ كانوا يحرضون الاشرار على تعكير صفو الأمن ليستولوا على ما في ايدي الناس في المدن والقرى من اموال وممتلكات ، لذا خشي الناس سطوتهم ، فانكمشوا في مدنهم وقراهم تاركين الزراعة والتجارة ، فظهر نقص الغلال واضحاً ، واشتد الجوع[٢٥] وزادت احوال الفلاحين سواءً في مطلع القرن العشرين حين تحوّل الفلاح من اجير لدى الدولة ابان العهد العثماني ، لان الاراضي كانت اكثرها اميرية مملوكة للدولة ، الى مجرد آلة تعمل في الارض لدى شيوخ القبائل وزعماء الاقطاع الذين استغلوا حركة اصلاح الاراضي وتوزيعها على المغارسين لغرض توطين القبائل واستقرارها ايام الوالي مدحة باشا في العراق (١٨٦٩ــ١٨٧٢) فحاولوا ان يستولوا على الاراضي وتسجيلها باسمائهم بعد ان كانت باسم العشيرة كلها ، فتحوّل الفلاح من مالك للارض مع العشيرة الى اجير عند فرد يتقاضى اجره كمية من المحصول ، وصار يُباع مع الارض حين تباع[٢٦] فاغرق الفلاح بالديون وصار يئن تحت وطأة الفقر والحرمان والجوع في معيشه مزرية ، وطعام لا يسدّ الرمق ولا يجد القوت الذي يخفق به من نهش الجوع في احشائه واحشاء اطفاله ، وهو في الغالب ليس غير خبز الشعير يتبلّغ به اما الأدام خشيء بعيد المنال ، أو هو بعض الخضرة والبصل واللبن ، كما كان لا يشرب الماء الصافي الا لماما ، انما يشربه من السواقي والترع والانهار والبرك الراكدة الموبوءة ، الحافلة بالديدان ، ويسكن في بيوت مبنية من الطين ، وسقوفها من الجريد وجذوع النخل ، ويعيش مع

---

[٢٥] غرائب الاثر ــ ياسين العمري ــ ٦٧ــ ٦٨ الموصل ١٩٤٠ .

[٢٦] انظر : الشعر العراقي الحديث ــ د. يوسف عز الدين ٢٥٥ .

حيواناته في حجرة واحدة لا نوافذ فيها ولا ابواب محكمة تقية لفح الزمهرير أو لسع انياب الشتاء .[٢٧]

ولحال الفلاح المزرية هذه ثأر كثير من شعراء العراق في مطلع القرن العشرين ، ووصفوا معيشته البائسة وطالبوا بانصافه ، والتخفيف عن كاهله ، على ان الملاحظة الجديرة بالتسجيل هنا ، هي : ان شعراء النجف هم اكثر شعراء العراق ــ في هذه الحقبة ــ ان لم اقل وحدهم الذين فعلوا ذلك فالشعراء جواد الشبيبي وعلي الشرقي واحمد الصافي النجفي ومير علي ابو طبيخ ومحمود الحبوبي ومحمد جواد الجزائري ومحمد رضا المظفر وغيرهم من شعراء النجف هم الذين تصدوا لمشكلة الفلاح ودعوا الى انصافه في حين خلت دواوين باقي شعراء العراق تقريباً من ذكر الفلاح او معالجة قضاياه ، فلم يُذكر الفلاح مثلاً في ديوان الزهاوي الضخم بغير قصيدة واحدة بعنوان (نكبة الفلاح) وهي اصلا ليست في وصف الفلاح انما هي في وصف الفيضان الجارف الذي طغى في بعض السنين ، بينما خلا ديوان الشاعر الاجتماعي الكبير (الرصافي الواقع في خمسة اجزاء كبيرة (ط وزارة الاعلام ــ بغداد) من اي ذكر للفلاح وبؤسه خلوّا تاما .. وهذه ملاحظة تستدعي الانتباه وتلفت النظر ، مع ان النجف مدينة ليست ذات بساتين وزروع ، لكن ذلك عائد الى توهج الحس الوطني فيها في تلك المرحلة المحتدمة من تاريخ العراق والى الشعلة الثورية التي تأججت فيها فضلا عن توهج الأدب فيها ، ثم الى كثرة اتصال شعرائها بالفلاح ولقربها من البيئات الزراعية والريفية المحيطة بها من مدن الفرات الاوسط مثل :

---

[٢٧] انظر عن حال الفلاح هذه : نهاية الاقطاع في العراق ــ محمد توفيق ، ونظرات في اصلاح الريف ــ عبد الرزاق الهلالي ٢٠ــ٦٣ ط٣ .

الكوفة وكربلاء والشامية والمشخاب والديوانية ، ولشدة اتصال اهلها ـ لمختلف الاغراض الدينية والتجارية ـ بمناطق الريف وللزخم الثوري الذي طفحت به المدينة في هذه المرحلة من حياتها ، الذي لابد من ان يكون للفلاح نصيب واف منه ، كما ان الكثير من شعراء النجف كانوا من اصول زراعية هاجر اهلهم منها الى النجف كالعمارة والناصرية والبصرة كما ان لموقف الفلاح المشرّف من ثورة العشرين وجهاده البطولي الرائع فيها والتضحيات الجسيمة التي قدمها في الثورة الشيء الكثير الذي استحوذ على اعجاب شعراء النجف وتقديرهم لبطولاته ، فوقفوا منه مكبرين ومعجبين وواصفين احواله وبطولاته ومقارنين بين تضحياته العظيمة من اجل الوطن وما كوفيء به بعد ذلك من اهمال وامتهان ونكران ، وهذا لعمري موقف انساني نبيل من لدن اولئك الشعراء ورافد حضاري حين طالبوا برفع الحيف عن عنصر مهم من عناصر الامة ، لان الفلاح عامل مهم من عوامل بناء الحياة وفي رفد الحضارة الانسانية بعوامل البقاء والازدهار ، وان دواوين شعراء النجف المذكورين تكتظ بشعر شرح حال الفلاح ويدعو الى انصافه ولعل من اكثرهم ذكرا للفلاح ودفاعا عنه وتبيانا لمظلوميته الشاعر النجفي المعاصر (محمد صالح بحر العلوم) (١٩٠٩ـ١٩٨٥) الذي أطلق عليه بعضهم اسم (شاعر الفلاح) لكثرة ما نظم فيه . فقد زخر ديوانه (العواطف) الذي اهداه في المقدمة (الى الفلاح) بوصف الفلاح ومشكلاته بشعر تميّز بحدة النبرة ودقة الصور ، وصدق المشاعر .[٢٨]

ألا ان الشاعر العراقي الذي صوّر احوال الفلاح أحسن تصوير وصاغ له اخلد المعاني في الشعر العراقي الحديث هو الشاعر (احمد الصافي النجفي)

---

[٢٨] انظر ـ ديوان (العواطف) ـ محمد صالح بحر العلوم ـ النجف ١٩٣٧ .

في قصيدته الخالدة (الفلاح) التي صدّر بها ديوانه الاول (الامواج) ومع ان القصيدة مشهورة الا اني اود ان اثبت هنا بعض ابياتها لتكون اقرب الى بصر القارئ وسمعه وليتأمل فيها ذلك الفيض المتدفق من المعاني والعواطف والصور ما لا خيلة ، حين قال وهو يخاطب الفلاح :

رفقا بنفسك ايها الفلاحُ ... تسعى وسعيك ليس فيه فلاحُ
لك في الصباح على عنائك غدوة ... وعلى الطوى لك في المساء رواح
هذي الجراح براحتيك عميقة ... ونظيرها لك في الفواد جراح
في الليل بيتك مثل دَهرك مظلم ... ما فيه لا شمعٌ ولا مصباح
فيخرّ سقفك ان هَمتْ عين السما ... ويطير كوخك ان تهبّ رياح
بغضون وجهك للمشقّة أسطرٌ ... وعلى جبنيك للشقا الواح
عرقُ الحياة يسيل منك لآلئا ... فيُزان فيها للفني وشاحُ[٢٩]

ومن الشعر النجفي الممتع الذي صوّر هيكل الفلاح المتداعي الذي غدا جسداً بلا روح ، والذي ابدع في اظهار مأساته والتفاوت الطبقي بين حال الفلاح ومعيشته المزرية ، وحياة مستغليه المترفة ، وفي تصوير اكواخ الفلاحين المتداعية الجاثية عند اقدام قصر الاقطاعي الشامخ الذي شيّد بعرق الفلاح وجهده ومنجله وقصور مستغليه الفارهة المطلة على دجلة هي قصيدة (منجل الفلاح) للشاعر علي الشرقي الذي كان لشاعريته المتقدة ، وانحداره الطبقي الفلاحي ، اثر كبير في تلك الاجادة ، التي يقول في قسم منها :

ما لهذا الفلاّح في الارض روح ... أهو من معشر بلا أرواح
هو في جنة ينال عذابا ... وهو تحت الاشجار اجرد ضاحي
ربّ قصر من فوق دجلة كالطا ... ووس للزهو ناشراً بجناح

---

[٢٩] ديوان (الامواج) ــ احمد الصافي النجفي ص٨ــ١٣ ط٤ بيروت ١٩٦١ .

اتراهُ مدتــه دجلـــة أنفســـا حين فاحـت روائــح القـــدّاح
لو كشفنا اطباقه عن اســـاس لوجدناه منجـــل الفـــلاح
لو كشفنا عن قلب ذاك المعنـّى لوجدناه مثخنـــا بالجـــراح
يا ربوعاً حيوانهـــا يتغنّـــى بسرور ، واهلهـــا في نياح[٣٠]

هذه امثلة من الشعر العراقي الذي صوّر الفلاح ، وبالتالي فان هـذا التوجه اسهام مهم من الشعراء في محاولة ردم الهوّه بين المنتقمـين بكـدح الفلاح واتعابه ، وبين الفلاح المرهق الذي يتصبب عرقا لتملأ بـه كـؤوس المتخمين ويشربوها معربدين ، الذي لا يمكن معه ان تستوي الحياة اوتتقـدم حضارة حين ينعم اناسٌ على شقاء اناس في بلد واحد او يرتوي السادة دائما من عرق الكادحين ومن دمائهم ...

كما اتضح اسهام الشعر العراقي الحديث في تطوير الفكر المعاصـر على (الصعيد الاجتماعي) ايضاً في : (دعوته الى تحرير المرأة) في مطلـع القرن العشرين ، وانتشالها من وهدة الذل والبؤس والامتهان ، التـي كانـت تعاني من التأخر والجهل وغمط الحقوق وشدة الأهوال ، حين تحولـت الـى مجرد آلة لخدمة الرجل وحفظ النوع ، بل تحولت الى متاع رخيص يمتلكـه الرجل متى يشاء بأبخس الأثمان ، ويرميه متى يشاء ، والى مملوك يُصّر في البيوت ويحفظ عن العيون لا رأي لها في اي حقّ من حقوقها ، فلا تعارض ولا تستفسر عما يُزاد لها في اي شأن من شؤونها ، ومنها مسائل زواجها او حياتها في بيت اهلها او زوجها[٣١] .

---

[٣٠] ديوان علي الشرقي ١٦٣ــ١٦٤ ، بغداد ١٩٧٩ .

[٣١] انظر : مشكلات المرأة في البلاد العربية ــ د. ابراهيم عبد الله محي ٩ــ١٠ .

لذلك حزّ في نفس الشاعر العراقي هذا المآل ، فدعا الى تحريرها وتعليمها وأنصافها والأخذ بيدها واحترام حقوقها الأساسية ، والتخفيف من حجرها ، لان أدرك انه لا يمكن لاي مجتمع ان يتقدم ونصفه محجور في البيوت مشلول الفكر . مسلوب الكرامة معطل الحركة فاقد الارادة ، فصار يُصف المرأة المظلومة والام المقهورة ، والزوجة المهجورة من غير كفيل اوحامٍ او معيل . وان كثيرا من أمثلة الظلم الاجتماعي على المرأة اضطلع بتوضيحة الأدب العراقي في هذه المرحلة اضطلاعا واعيا ــ وخاض من اجل ذلك معارك ضارية مع المحافظين والحجابيين .

(٤)

وبتلاحق الأحداث ، وصدور الصحف في مطلع القرن العشرين وتعدد المنابر واشتباك الاقلام ، صارت الدعوة الى تحرير المرأة تيارا واضحا في مجمل حركة الشعر العراقي الحديث ، ولا سيما بعد ان دوّى في مطلع القرن (قاسم أمين) في مصر داعيا الى تعليم المرأة وتخفيف الحجاب عنها وتنظيم الزواج ومنحها حقوقها الاجتماعية في كتابية المشهورين (تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة) . وقد تردد صوته في أرجاء العالم العربي ومنها العراق : لذلك بقي الأدب العراقي مصرّا في كفاحه لهذه الأحوال الشاذة حتى انتصر في نهاية المطاف وكُتب لنصف كامل من المجتمع ان يسترد الكثير من حقوقه المصادرة ، ويحقق إنسانيته المشروعة ، وبذلك صار المجتمع يحلق بجناحين بعد ان كان يدرج بجناح واحد ، ويتنفس برئتين بعد ان كانت إحداهما معطلة ، وان الشعر الذي قيل في هذا الباب كثير جدا نجده لدى شعراء العراق الكبار في هذه المرحلة من مؤيدي التيار الاصلاحي حين دارت بينهم وبين المحافظين مناقشات حادة حول تعليم المرأة وسفورها

واحترام حقوقها ، وقد كان على رأس شعراء التيار الاصلاحي الشاعر جميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي .

فقد أرسل الزهاوي ــ مثلا ــ سنة ١٩١٠ الى جريدة (المؤيد) المصرية مقالة بعنوان (المرأة والدفاع عنها) اثارت ضجة في بغداد هاجم فيها الافكار السائدة حول المرأة ، وطالب بتعليمها وتحريرها ، فثار الناس عليه حتى اضطر الى الاحتجاب عن العيون وملازمة داره خوف غضب الناقمين[٣٢] . ولكن الرجل ثبت في آرائه ولم يتخلّ عن أيمانه بحق المرأة ودعوته لسفورها وتحريرها من حجابها الذي نظر له على انه قيد ثقيل على المرأة وشكل ثقيل من أشكال الحياة المتآخرة .

فقد قال في بعض دعوته الى تحرير المرأة : ان الحجالب هو شلّ للشعب :

انما في الحجاب شلّ لشعبٍ وخفاء ، وفي السفور ظهور[٣٣]

وقال ايضا :

أسفري فالسفور للناس صبحٌ زاهرٌ ، والحجاب ليلٌ بهيمُ[٣٤]

ومثله فعل زميله الرصافي في مثل هذه الدعوات التحريرية نجدها في ديوانه .

اما إسهام الأدب العراقي الحديث على (الصعيد الثقافي) في تطوير الفكر المعاصر ، فانه كثيرا ايضا ، وهو يتركز بشكل خاص في دعوته الى الأخذ بالعلم ووسائل المعرفة ونبذ الجهل والاخذ باسباب الحضارة الجديدة وهذا الاتجاه كثير لدى عدد كبير من شعراء العراق في هذه المرحلة . من

---

[٣٢] انظر نص مقال الزهاوي في (المؤيد) ومحنة الزهاوي خلالها في :
الزهاوي ــ دراسات ونصوص ــ عبد الحميد الرشودي ١١٢ــ١١٧ .

[٣٣] ديوان جميل صدقي الزهاوي ٣١٩/١ ط دار العودة .

[٣٤] اللباب ــ جميل صدقي الزهاوي ص٢٣٦ .

اشهرهم الزهاوي والرصافي ومحمد رضا الشبيبي وعلي الشرقي وكاظم الدجيلي وعبد المحسن الكاظمي وخيري الهنداوي وغيرهم ، نجدها في دواوينهم المطبوعة ، وهو اسهام مشهود من هذا الادب العراقي الحرفي هذه الحقبة .

وبعد فاسهام الأدب العراقي الحديث في تطوير الفكر المعاصر كان ذا جوانب كثيرة متعددة ، وباتجاهات مختلفة ، ونرى ان هذا البحث وبسبب طبيعته التي تميل الى الاختصار لم يوضح كل جوانب ذلك الاسهام ، او مايطمح ان يشير اليه ، وما كان منه يحتاج الى تفصيل اكثر في الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية ، ولكن مع ذلك فان اسهام ذلك الادب مشهود بالحقائق والشواهد ، مما يفخر به التراث العربي الأدبي الحديث الذي كان وريث ذلك التراث العربي الأصيل الذي اضاف للحضارة الانسانية اضافات نوعية معلومة ، لايمكن ان تخفي على كل ذي معرفة وانصاف ...

مصادر البحث :

١ــ الأدب العصري ــ رفائيل بطي ج١ المط السلفية بمصر ١٩٢٣ .

٢ــ الامواج ــ ديوان لاحمد الصافي النجفي ط٤ ــ بيروت ١٩٦١ .

٣ــ البركان ــ ديوان لمحمد مهدي البصير ــ مط المعارف ــ بغداد .

٤ــ البلاد العربية والدولة العثمانية ــ ساطع الحصري ــ ط٣ بيروت ١٩٦٥ .

٥ــ ثورة العشرين في الشعر العراقي ــ ابراهيم الوائلي ــ مطبعة الايمان ببغداد ١٩٦٨ .

٦ــ جريدة العراق (البغدادية) عدد ١٥٠ ٢٨ نيسان ١٩٢٢ .

٧ــ جريدة القادسية (البغدادية) عدد ٣٠ حزيران ١٩٩٥ .

٨ــ خيري الهنداوي ــ د. يوسف عز الدين ــ مط الشعب بغداد ١٩٧٤ .

٩ــ ديوان بشار بن برد ــ القاهرة ١٩٦٦ .

١٠ــ ديوان الرصافي ــ ط٦ مط الاستقامة . القاهرة ١٩٥٩ .

١١ــ ديوان الرصافي ــ طبعة وزارة الاعلام ــ بغداد ١٩٧٥ .

١٢ــ ديوان جميل صدقي الزهاوي ــ ط دار العودة .

١٣ــ ديوان الزهاوي ــ تحقيق محمد يوسف نجم ــ القاهرة ١٩٥٥ .

١٤ــ ديوان الشبيبي (محمد رضا) مط لجنة التأليف ــ القاهرة ١٩٤٠ .

١٥ــ ديوان عبد المطلب الحلي ــ مخطوط ــ من مجموعنا موجود لدينا .

١٦ــ ديوان علي الشرقي ــ ط وزارة الثقافة ــ بغداد ١٩٧٩ .

١٧ــ ديوان العواطف ــ محمد صالح بحر العلوم ــ مط الراعي ــ النجف ١٩٣٧ .

١٨ــ ديوان الكاظمي ــ شاعر العرب ــ الناشر حكمة الجادرجي ــ ط١ .

١٩ــ الزهاوي ــ دراسات ونصوص ــ عبد الحميد الرشودي ــ بيروت ١٩٦٦ .
٢٠ــ شعراء الثورة العراقية ــ خضر العباسي ــ بغداد ١٩٥٧ .
٢١ــ شعراء الحلة ــ علي الخاقاني ج٣ المط الحيدرية ــ النجف ١٩٥٢ .
٢٢ــ شعراء الفري ــ علي الخاقاني ج٣ المط الحيدرية ــ النجف ١٩٥٤ .
٢٣ــ الشعر العراقي ــ اهدائه وخصائصه الفنية ــ د. يوسف عز الدين ــ القاهرة / ١٩٦٥ .
٢٤ــ الشعر العراقي الحديث ــ د. يوسف عز الدين ــ القاهرة ١٩٦٥ .
٢٥ــ الشعر العراقي الحديث ــ مرحلة وتطور ــ د. جلال الخياط ط١ .
٢٦ــ غرائب الأثر ــ ياسين العمري ــ الموصل ١٩٤٠ .
٢٧ــ اللباب ــ (شعر ــ لجميل صدقي الزهاوي) . مط الفرات ــ بغداد ١٩٢٨ .
٢٨ــ مجلة كلية الاداب ــ جامعة بغداد ــ ع٧ نيسان ١٩٦٤ .
٢٩ــ مشكلات المرأة في البلاد العربية ــ د. ابراهيم عبد الله محي ــ بغداد ١٩٥٨ .
٣٠ــ معروف الرصافي ــ د. بدوي طبانة ــ القاهرة ١٩٥٧ ط٢ .
٣١ــ معروف الرصافي ــ د. رؤوف الواعظ ــ دار الكتاب العربي ــ بمصر .
٣٢ــ نظرات في اصلاح الريف ــ عبد الرزاق الهلالي ــ ط٣ / ١٩٥٤ .
٣٣ــ نهاية الاقطاع في العراق ــ د. محمد توفيق حسين ــ بيروت ١٩٥٨ .